

## ربيع النرجسية... خريف الفرد [3/1]



يشعر الفرد الحديث براحة أكبر عندما يفهم أنه «غير ملزم» بأن يكون سعيداً (أ.ف.ب)

بالحياة»، أن تكون سعيداً هو في الحقيقة ليس خياراً هذه الأيام. مراقبة بسيطة للطلاب الأميركيين ستجعلك ترى الانضباط الصارم الذي يلتزم عبره الطالب بالترفيه عن نفسه مرة في الأسبوع عبر الذهاب إلى الملاهي وشرب الكحول وغيرهما، الفرد الذي لا يمارس هذه الطقوس سيُشعر مباشرة بأنه «مذنب»، بأن هناك شيئاً خاطئاً في حياته. يشعر الفرد الحديث براحة أكبر عندما يفهم أنه «غير ملزم» بأن يكون سعيداً، بأن بإمكانه أن يمر بفترات من التعاسة وأن ذلك ليس ذنباً. في كتابها «عن الكوميديا»، تحدثت الينكا زوبانشيتش، في المقدمة عن الكيفية التي أصبحت بها السعادة خصلة جوهرية، أن تكون شخصياً سعيداً ومرحاً هي خصلة تشير إلى أنك شخص «جيد أخلاقياً»، وإما إن كنت نعيماً فذلك يعني أن لك جوهرًا أقل جودة (الأمر نفسه يمكن قوله بالنسبة إلى النجاح والفشل، النجاح أصبح يرى باعتباره ميزة تكاد تكون بايدولوجية في جوهرائيتها، والتفسير الطبقي الاجتماعي للنجاح تم تجاهله). هذه الحالة يمكن كذلك ملاحظتها في حقيقة أن الناس باتوا يخلعون من إظهار حزنهم.

الثمن الذي يدفعه الفرد المفصول عن الفضاء الرمزي، إذاً، (ذلك هو تعريف الفرد النرجسي كما سنرى لاحقاً) هو أن الأمر الاجتماعي سيأتي كامر غير مفسر رمزياً. وبالتالي أكثر قهراً، بتعبيرات جاك لاكان، سيأتي الأمر غامضاً كشعور غير مفسر «Enjoy». وكشعور دائم بالتقصير أمام هذا الأمر. هذا يأتي بنا لسؤال: ما هي الرغبة أصلاً؟ بالنسبة إلى علم النفس اللاكاني، فإن الرغبة دائماً هي رغبة «عبر الآخر»، أنت ترغب فيما يرغب به الآخرون، أو ترغب بأن يحبك الآخرون، أو ترغب بأن تحبهم... وهكذا. حالة الارتباط النفسي الأساسي بالآخر هذه تجعل الإنسان جزءاً من فضاء رمزي يدير هذه العلاقة. عندما تتعامل مع شخص آخر لا يمكن لهذا التعامل أن يتم إلا في ظل اتفاق ضمنى باحترام قوانين رمزية تجعل هذا التعامل ممكناً، مثلاً، عندما يخبرك شخص بأنه يحبك فأنت لا تستطيع أن تتأكد بصورة كاملة إن كان هو يعني ذلك فعلاً، ما تستطيع أن تفعله هو أن «تؤمن» بأن هذا الآخر يعني فعلاً ما يقول، بأنه يعني الكلمة بمعناها الموجود سلفاً في الفضاء الرمزي (في مثل هذه اللحظات، عندما يتواجه الإنسان بحب شخص آخر، يظهر «الآخر» كشيء جذري ومختلف وخارج إطار قدرتنا على الفهم الكامل والسيطرة، كشيء مخيف إن شئت، هذا الاختلاف الجذري، الشيء الموجود في الخارج، هو ما يفتح المجال لتكوّن فضاء رمزي يجعل من التواصل أمراً ممكناً). هنا يمكننا أن نفهم لماذا سمي جاك لاكان الفضاء الرمزي Symbolic Order «الآخر الكبير»...

### بداية أي مشروع تحريري جماعي هي الفرد نفسه

لأنك تعتمد عليه لفهم «الآخر الصغير» الذي أمامك (وهو عبارة عن منظومة اللغة بالمعنى الواسع للكلمة، المنظومة التي تنتجها العلاقة المستحيلة مع الآخر الصغير). هذا الدخول في الفضاء الرمزي الذي هو علامة قبول الفرد لحقيقة أن الآخرين هم جزء حقيقي في الحياة، تأتي معه الرغبة المفسرة رمزياً.

لفهم الفرق بين الرغبة النرجسية (خارج الفضاء الرمزي، الرغبة التي لا تعترف بالآخر كشيء مختلف جذرياً وموجود خارج الفرد) والرغبة الفردية الحقيقية، يمكننا أن نعود إلى مقال سلافوي جيجك عن فيلم «لا لاند» المنشور مؤخراً في «Philosophical Salon». في هذا المقال، يقدم جيجك قراءة مميزة لفكرة الحب لا بوصفها شعوراً داخلياً نرجسياً، بل بوصفها التزاماً رمزياً، أنت عندما تحب فأنت تلتزم تجاه شخص آخر و«تؤمن» بأنه يلتزم تجاهك بالقدر نفسه، ولا يهم هنا الشعور الداخلي أو السعادة: في الحب تتحول حياة الفرد الذاتية لأمر تافه، ما يهم فقط هو «الفكرة الخارجية»، الشخص الآخر الذي لا سبيل لمعرفة ما يدور في ذهنه، لا سبيل «لابتلاعه»، كل ما هو ممكن هو

«الإيمان» بالعلاقة كفكرة. لذلك، فإن شعور الحب الأصيل هو شعور «مؤلم»، شعور بأن شيئاً ما قد «تدخل من الخارج» في حياتنا. هذا الحب سيحكم بقية القوانين الرمزية ولن يعيش خارجها، ولذلك كانت القراءة «اللبنينية» التي قام بها جيجك للفيلم مميزة جداً: الحب الحقيقي هو الحب «اللبنيني»، ذلك الحب الذي يحدث مرفقاً بالترامات رمزية أخرى ويحبها غيرها، الرغبة في الحب لا تختلف عن الرغبة في مشروع سياسي تقدمي مثلاً، كلاهما نتاج تحول الإنسان إلى مخلوق رمزي اجتماعي. والحب بهذا المعنى لا يمكن أن يكون مهرباً من الالتزامات الرمزية الأخرى (هي رغبات في الحقيقة، القانون الأخلاقي الداخلي هو نتاج رغبة كذلك، لاكان وضعها بهذا الشكل: الرغبة لها هيكل الواجب)، بل هو جزء منها. لذلك فإن علاقة الحب الحقيقية هي ليست تلك العلاقة التي يُضخّي الواحد منا بمسؤولياته من أجلها، بل هي العلاقة التي يُضخّي بها في خدمة قضية أكبر. مثال جيجك بالطبع كان لبنين الذي منح حياته للثورة وبالتالي لم يجد الوقت للحب، ولكن ذلك لم يمنعه من حب أينيسيا أرماند في الوقت نفسه. الحب المفقود الذي يشرق، عبر غيابه من أجل الثورة، كشيء أشد قوة وحضوراً. هل يمكن مقارنة ذلك بالحب النرجسي الذي يسعى أول ما يسعى «لإلغاء» الآخر و«ابتلاعه»؟ بهذا التعريف للرغبة كنتاج توجه خارجي أساسي للنفس الإنسانية، سيكون من الممكن أن نفهم أن لعلم النفس بالتعريف تتعات اجتماعية وسياسية. بداية أي مشروع تحريري جماعي هي الفرد نفسه، إعادة صياغة رؤيته لنفسه ولرغباته. وبصورة ما،

## تحليل خطاب «حزب الله»، الحاجة إلى إحاطة وموضوعية

بالأساس، كان العرض أن تنشره دار أميركية، لكن بسبب طول مدة الإجراءات المطلوبة، تم اختيار دار هي الأوسع انتشاراً في بيئتها اليوم. وقد اطلعت على كل الكتب التي ألفت عن «حزب الله» بالإنكليزية (وغيرها). ولاحظت أنها تنقسم، بأغلبها، إلى ثلاثة أقسام: سطحي، أو ذو خلفية مغرضة، أو دعائي. أستطيع الادعاء بأن الكتاب كان متشككاً في موضوعيته، كما أنه أثار استحساناً أو نقداً وصلت أصدأه إلى مؤسسات دولية وأجنبية.

أما أن تستدقظ صباحاً لتجد في الصحيفة مقالاً (فادي يونس: تحليل خطاب حزب الله بين العنوان والمحتوى) يرد فيه أنك قلت أشياء لم تقلها، فهو أمر لطيف ولا شك. اكتشفت من خلال المقال أنني كتبت عن «تخليّ الحزب عن حلم الدولة الإسلامية»، أو «امتنع الحزب عن توجيه أي نقد للإدارة السورية للبنان»، البحث جار في كتابي عن مكان هاتين الملاحظتين. وإن كان «المقال» عبارة عن انطباعات عامة لقراءة متسرعة، فهناك

(International Sociolinguistic, Ethnography of Communication & Foucaultian Approach).

أما استخدام «الملفوظات»، فكان جزءاً أصيلاً من التحليل (Lexical Choices) وهذا ظاهر في الكتاب، كما كان واضحاً للبحث المكثف حول المتغيرات المستقلة (Independent Variables) وفق منهج التحليل السياسي الحديث، بمراحله

### الكتاب موجه لشريحة القارئ بالإنكليزية ممن لا تتوفر بين أيديهم مادة موضوعية عن «حزب الله»

في كتاب، كان هناك توقّف عند التعديلات المطلوبة في كتاب، ومدى استجابة جزء من الجمهور لكتاب باللغة الإنكليزية. الدافع الأساس للنشر كان خلو المكتبات من كتاب أكاديمي ممنهج حول خطاب «حزب الله»، ويوجد هنا فراغ لم يُملأ تماماً. فهو يغني عن الحاجة إلى مناقشة الناطقين باللغة الإنكليزية حول ما في خطاب الحزب من مضامين ورموز. وليس غائباً عن ذهن القراء أن الدراسات الوثائقية التحليلية لا تنتج بالضرورة حقائق صادمة جديدة، بل استنتاجات دقيقة وحساسة.

في الكتاب جهد منهجي مكثف (الفصل الأول)، حيث يتناول النظريات الثماني في تحليل الخطاب (DA) وتطبيقاته، على 160 نصاً مختاراً، من بين آلاف الصفحات، وهو ما قد يصعب على القارئ غير المتخصص تقييمه. في الحقيقة، يتميز الكتاب بشرح نظريات التحليل ومناهج أخرى بين الصفحات 14 و37، كما يمكن لأي قارئ على صلة باللغة الإنكليزية، مثلاً، قراءة الفصل الثالث، حول «الرسالة المفتوحة»، وتحليلها وفق نظريات

### علي فضل الله \*

منذ أن اخترت عنوان «تغيّر خطاب» («تحليل خطاب»، وليس «تحليل مضمون») «حزب الله»، أنشيت أسئلة واعتراضات كثيرة من قبل مهتمين (متخصصين وغيرهم) حول مدى التغيّر، أو «التطور» كما فضّل البعض، في هذا الخطاب. (Progress not Change). وقد صدر بيان رسمي من قبل الحزب، قبل ساعتين من حفل توقيعه في قصر الأونيسكو في تشرين الثاني الماضي، وربما للمرة الأولى في حق كتاب، حول عدم علاقة الحزب به. شهد الحفل مشاركة كثيفة ومتنوعة بحيث نفذت النسخ، ونقاشاً غنياً، خلاله وبعده، هو المطلوب في زمن كثرة الشكاوى من تراجع الثقافة.

الكتاب في أساسه أطروحة في جامعة أميركية عام 2008، وخضعت لمناقشة مستفيضة. لذلك، هي تتوافق مع المعايير الأكاديمية، وليست عملاً صحافياً أو نقداً سياسياً. فيجب أن يكون مستوى التقييم صادراً عن قارئ يملك خلفية أكاديمية بالأساس. وعندما كان التوجه لنشرها